البُعد النَّصي عند العلَّامة الطباطبائي (مفهوم المناسبة أنموذجا)

م.م. زينب عبد الجبار خضير

م.م. قصي حسن حميد

/ جامعة ذي قار/ كلية التربية للبنات

zainab.abdoljabbar@utq.edu.iq

الملخص:

يقدم البحث مقاربة بين الابعاد النصية عند المحدثين ولاسيما معيار الانسجام وعلم المناسبة الذي ابدعه علماء التفسير المسلمين متخذا من تفسير الميزان أرضية تطبيقة لهذه المقاربة ، ويعرض البحث الابعاد النَّصية لنظرة العلَّامة الطباطبائي من خلال فهمه لمفهوم المناسبة لدفع الاشكال حول ترتيب الآيات والسور في القرآن مع وجود الفارق الزمني والمكاني في نزولها ؛لان بعضها نزلت تبعا لظروف الحافة بالرسول والمسلمين ، سواء كانت في بداية الدعوة أو بعد أنْ أصبحتْ الكلمة العليا للمسلمين في المدينة، وكان البحث ردًا على ما أفاض به بعض الباحثين في النفي عن القرآن كلُّ مظاهرِ النَّصية الموحدة .

الكلمات المفتاحية: (البُعد النَّصي، العلَّامة الطباطبائي، مفهوم المناسبة).

The textual dimension of Allama Tabatabai (the concept of the occasion as a model)

Zainab Abdul-Jabbar Khudair
Qusai Hassan Hamid
Dhi Qar University/ College of Education for Girls

Abstracts:

The research presents an approach between the textual dimensions of the modernists, especially the criterion of harmony and the science of appropriateness, which was created by Muslim scholars of interpretation, taking from the interpretation of the balance as an application ground for this approach. The temporal and spatial in its revelation, because some of them were revealed according to the circumstances of the edge of the Messenger and the Muslims, whether it was at the beginning of the call or after it became the supreme word for Muslims in Medina, and the research was in

response to what some researchers have elaborated in the denial of the Qur'an all the manifestations of the unified textuality.
Keywords: (text dimension, Allama Tabatabai, the concept of occasion)

المقدمة

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبي الإسلام محمد وآله الطيبين الطاهرين،

وأصحابُه الغُر الميامين.

أمَّا بعدُ،

فإنَّ البحث يعرض، الابعاد النَّصية لنظرة العلَّامة الطباطبائي من خلال فهمه لمفهوم المناسبة لدفع الاشكال حول ترتيب الآيات والسور في القرآن مع وجود الفارق الزمني والمكاني في نزولها ؛لان بعضها نزلت تبعا لظروف الحافة بالرسول والمسلمين ، سواء كانت في بداية الدعوة أو بعد أنْ أصبحتْ الكلمة العليا للمسلمين في المدينة، وقد أفاض بعض الباحثين في النفي عن القرآن كلُّ مظاهرِ النَّصية الموحدة ، اذ يرى بعضهم إنَّ القرآن ليس نصًا منسجمًا بالمعنى الحديث ، الذي يستلزمُ درجةً كبيرةً من الترابط في مستوى التأليف اللغوي .

والبحث يسعى إلى وضع مقاربة لسانية بين ما يقول به اللسانيون اليوم وأعني لسانيو النص وما عرضه العلَّامة الطباطبائي من فكرة تكاد أنْ تقترب لما يقولوه ، من حيث المفهوم وإنْ اختلفت المصطلحات ، مقاربين بين مصطلحات لسانيات النص ولاسيما معيار الانسجام (الترابط المفهومي) ومفهوم المناسبة التي عنى بها بعض المفسرين ،وقد أعطاها العلَّامة الطباطبائي دورًا اساسيًا في تفسيره ،مختصرين هذا الدور على ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة ، متخذين من المنهج الوصفي التحليلي طريقا في مفاتشة آراء العلَّامة الطباطبائي ، وإثباته أنَّ عناصرَ التماسك والانسجام النصيين متوفرة في القرآن الكريم من خلال الشواهد الكثيرة التي عرضها في تفسيره .

وقد جاء البحث موزعا على ثلاثة مباحثٍ: المبحث الاول يحمل مفهوم النَّص ومفهوم المناسبة أما المبحثُ الثاني: ترتيب الآيات في السورة الواحدة عند العلَّامة الطباطبائي ، وجاء المبحث الثالث تطبيقيًا لمفهومِ المناسبةِ ، وقد انتهى البحث ببعض النتائج ثُمَ قائمةٌ بالمصادر والمراجع.

المبحث الاول: مفهوم النص ومفهوم المناسبة

أولا: مفهومُ النَّصِ:

نالَ مصطلحُ النَّص حظًا وافرًا في الدراسات اللغوية والأدبية والاجتماعية؛ لكونه ينتمي إلى المعرفة الكلية ، وجالت هذه الدراسات في مفهوم النصِّ ومرجعياته وأثره في المتلقي، على أنَّ البحثَ في الأصول العربية والاصطلاحية لكلمة نصٍّ أَمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله ومنطلقاته وتعدد الأشكال والمواقع والغايات[١] .

فمصطلح النَّص له دلالات تتفاوت بين العموم والخصوص يحده علماء الاصول نوع من أنواع دلالة اللفظ على معناه ، والاصل فيه أنه مصدر للفعل نصَّ ينصُّ بمعنى الرفع والاظهار ، ونص السنة أي: ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الاحكام[٢]

أما عند المحدثين فالنّص النسيج العام الذي يتألف من خيوط متناسقة على هيئة مخصوصة ، ويتعدى الجملة بوصفها سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن : مبدأ الوحدة ومبدأ التناسق[٣] ، فالتعريفات التي ورد عليها النَّص حديثا كثيرة ومختلفة ؛فبعضها يقصر النص على المنجز كتابة ، ومنها ما يراعي في التعريف جانب الوظيفة التواصلية ، ومنها ما يهتم بعنصر التتابع بين ألفاظ النص ومنها ما يركز على الوظيفة الدلالية للنص[٤] ، ويذهب كلٌّ من إبراهيم الفقي وسعيد بحيري إلى تبني تعريف (روبرت دي بو جراند) ويعدّانه من التعريفات الجامعة ، التي يرى النصَّ حدثًا تواصليًا يشترط لنصيته أنْ تتوفرَ له سبعة معايير مجتمعة ، وهذه المعايير(الاتساق، الانسجام، القصد ،القبول، الاعلام ، المقامية، التناص)[٥]

وعرَّفه نعمان بُوقرة ((وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية، ومعنى ذلك أنَّ النصَّ وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها، والمقصود بالمستوى الاول (الأفقي)أنَّ النصَّ يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، أمَّا الثاني فيتكون من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية، ولهذا عند تحليل النصِّ ينبغي أنْ نتبنى نظرية كلية تتفرع منها نظريات صغرى تحتية تجمع كل المستويات))[٦] ، يستخدم هذا البحث مصطلح النص بمعناه الحديث لما فيه من الشمول والعموم ، ولما فيه من مراعاة الخصائص الرئيسة التي لا يكاد يخلو منها نص من النصوص .

وبعد هذا البحث في المعجمات اللغوية وتعريفات علماء النصِّ للنصِّ ،علينا أنْ نُبينَ الرؤية النصية للسيّدِ الطباطبائي، وتصوره عن مفهوم النصِّ.

يقولُ العلَّامة الطباطبائي عن مفهوم النصِّ: ((البيان القرآني... كلام موصول بعضه ببعض في عين أنَّه مفصول ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض كما قاله علي **(عليه السلام)** فلا يكفي ما يتحصل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها دون أنْ يتعاهدَ جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبر فيها كما يظهر من قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾**النساء: ٨٢**))[٧]

وبذلك يمكن لنا القول : إنَّ الكلمة لا تأخذ معناها من المصطلح اللّغويّ الجامد، وإنّما من خلال حركة الكلمة في ممارسة المجتمع؛ فالمجتمع يوسِّع الكلمةَ إلى أبعد من معناها اللّغويّ، ولهذا، عندما نريد أن ندرس النصّ، فلا بدّ من أن ندرسَه في معناه اللغويّ، وفي مسيرته التاريخيّة أيضاً، أيْ في ما يستوحيه الناسُ منه، وفي ما يستعملونه .

ويقولُ العلَّامة الطباطبائي في مكانٍ آخرٍ من الميزان مشيرًا إلى رؤيته النصية : ((على أنَّ كلَّ مَنْ يرعى نظره في آيات القرآن من أوله إلى آخره لا يشك في أنَّ ليس بينها آية لها مدلول وهي لا تنطق بمعناها وتضل في مرادها، بل ما من آية إلَّا وفيها دلالة على المدلول: إمَّا مدلول واحد لا يرتاب فيه العارف بالكلام، أو مداليل يَلْتَبِسُ بعضها ببعضٍ، وهذه المعاني الملتبسة لا تخلو عن حق المراد بالضرورة وإلَّا بطلت الدلالة كما عرفت، وهذا المعنى الواحد الذي هو حق المراد لا محالة لا يكون أجنبيًا عن الأصول المسلمة في القرآن كوجود الصانع وتوحيده وبعثة الأنبياء وتشريع الأحكام والمعاد ونحو ذلك، بل هو موافق لها وهي تستلزمه وتنتجه وتعين المراد الحق من بين المداليل المتعددة المحتملة، فالقرآن بعضه يبين بعضًا، وبعضه أصل يرجع إليه البعض الآخر))[٨] ، والعلَّامة من وجهة الباحث يريد القول القرآن نصّ إلهي ولكنّ تفسيره بشريّ، ومن واجب كلّ الناس قراءة القرآن، ومن حقّهم أن يتفهّموه، ويتدبّروه، ويدْرسوا المفرداتِ التي انطلق منها، لا بدّ للّذين يلتزمون به، أو يُخاطَبون به، أن يتفهّموه وأن يثيروا علامات الاستفهام، وعندما أثار المشركون علاماتِ الاستفهام حول بعض القضايا الاعتقادية والاجتماعية، كان القرآن يجيبهم من خلال النبيّ، وكانت للناس حريّةُ أن يسألوا النبيّ ما يشاؤون، فالقرآن لم يَمنع أيّ إنسان من أن يسألَ عمّا جاء به التشريعُ الإسلاميّ، بل حاول أن يفسّر لهم ذلك[٩] .

ويشير العلَّامة الطباطبائي في مكان آخر إلى مفهوم النصِّ قائلًا: ((على أنَّه ليس في القرآن آيةٌ أُريدَ فيها ما يُخالف ظاهرها، وما يُوهِمُ ذلك من الآيات إنَّما أُريدَ بها معانٍ يعطيها لها آياتٌ أُخر محكمة، والقرآن يُفسِّرُ بعضه بعضًا، ومن المعلوم أنَّ المعنى الذي تعطيه القرائن متصلة أو منفصلة للفظ ليس بخارج عن ظهوره وبالخصوص في كلام نصِّ متكلمه على أنَّ ديدنه أنْ يتكلم بما يتصل بعضه ببعضٍ، ويشهد بعضه على بعضٍ ويرتفع كل اختلاف وتنافٍ متراءٍ بالتدبر فيه))[١٠]، يريد

العلَّامة الطباطبائي القول : إن أهم مزايا تفسير القرآن بالقرآن أنه يضعُ اليد على مظاهر التماسك والانسجام في النص القرآني ، ويكون للمفسر ملكة يُدرك بها أساليب القرآن ودقائق نظمه ، أي: أن شرح كلمة قرآنية بأخرى أو جملة اخرى أو آية من القرآن الكريم ليعدُّ مظهرا من مظاهر انسجام النص القرآني ، ويظل خاضعا لمبدأ الترابط بين مكونات النَّص سواء أكان الترابط ترابطا رصفيا **(التماسك النصي)** أم ترابطا مفهوما للأفكار **(انسجام)** .

ثانيًا : مفهوم المناسبة:

إنَّ علمَ المناسبةِ أساسٌ في التفسير؛ لأنَّه يسهل فهم الآيات ويرجح بين الآراء وهذا ما يعينُ المفسرَ على الأخذِ بالمعنى الراجحِ الذي يربط بين الآياتِ ويدرأ التأويلات المتعارضة دلاليًا مع النصوص القرآنية وجعل أقربها إلى الصواب أكثرها انسجامًا مع سياق النص, والمناسبةُ تثبتُ تلاحمُ المكي والمدني في السورةِ الواحدةِ .

وقد تنبه المُفسِّرون إلى ظاهرةِ الترابطِ والانسجام في النصِّ القرآنيِّ يقول السِّيوطيُّ(ت٩١١هـ):((المناسبةُ في اللغةِ كالمشاكلةِ والمقاربةِ ،ومرجعها في الآيات ونحوهما إلى رابط بينهما عام أو خاص أو عقلي أو حسّي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات, أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه, وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصبحُ التأليف حالته حال البِنَاء المحْكَمِ المتلائم الأجزاء))[١١] .

وقال في موضع آخر: ((أمّا تناسق الآيات داخل السورة نفسها وداخل القرآن كله, فيعرف بطريق النظر الى الغرض الذي سيقت له السورة ,وما يحتاج اليه ذلك الغرض من مقدمات ....فهذا هو الأمر الكلّي المعين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن))[١٢]، ومن الذين صنّفوا في هذا العلم، أبو جعفر إبراهيم بن الزبير الغرناطي الأندلسي (ت٧٠٨هـ) في كتاب سمّاه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ثم جاء بعده كمال الدين بن الزملكاني (ت٧٢٧هـ)، صاحب (البرهان في إعجاز القرآن)، الذي اهتَمَّ اهتمامًا كبيرًا بترتيب المصحف وبَيَّنَ أسراره، فقال: ((عند التأمل يظهر أنَّ القرآن

كلَّه كالكلمة الواحدة))[١٣] ، وأَفْرَدَ السيوطي (ت٩١١هـ) لهذا العلم كتابيْنِ أسماهما: (تناسق الدّرر في تناسب السور)، و(أسرار التنزيل))).

ومن أوسع المراجع في هذا العلم كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات السور) لبرهان الدين البقاعي المتوفي (٨٨٥هـ) حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم سورة سورة, ولديه ولع في استعمال التفسير الإشاري، واستعمال حساب الجمل، وإيراد ما في التوراة والإنجيل، وقد أُخِذ عليه ذلك[١٤] .

المناسبةُ لغةً:

المناسبةُ في اللغةِ: مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة (النون، والسين، والباء) تدور حول معنى:(اتصال شيء بشيء)،ومنه النسب، سمي لاتصاله والاتصال به[١٥]والمناسبة (تعني المشاكلة والمقاربة)[١٦] ,والمشاكلة بمعنى :((المماثلة تقول: هذا شكل هذا أي: مثله, وهي مأخوذة من الفعل (نَسَبَ):يعني اتصال الشيء بالشيء ,ومنه (النسب) أي: القرابة))[١٧] , والمصدر(نسبًا),والجمع(مناسبات) [١٨] .

ويتضح من هذه التحديدات المعجمية أنَّ كلمة (المناسبة) ترادف الملائمة والموافقة والمشاركة والاتصال مما ينم عن ملائمة العناصر واتصالها في بنية النص أو تلميح إلى وسائل يتحقق بها الانسجام.

المناسبةُ اصطلاحاً:

المناسبةُ: ((هي علمٌ تعرفُ منه علل الترتيب وثمرتها الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه للترتيب أجزاؤه ، وهو سر البلاغة , لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال))[١٩] .

وتعرَّف أيضًا ((بأنَّها هي مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض))[٢٠] .

ويُعرِّفُها الدكتور مصطفى مسلم بأنَّها((الرابطة بين شيئين أي: وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وبعدها, وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها))[٢١] .

ويظهر أنسب تعريفات للمناسبة التعريف الأخير؛ لأنَّه يشمل على المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة والمناسبة بين السور في القرآن الكريم فضلًا عن أنَّه يطابق رؤية العلَّامة الطباطبائي في مفهوم المناسبة ولكنه يقيّدها بالآيات المتحدة النزول والآيات التي بينها ارتباط ظاهر، ويمكن أنْ نستنتجَ تعريفًا في ضوءِ ما سبق بأنَّ المناسبةَ: هي دراسةُ العلاقاتِ داخل النص وكشف الروابط بين الكلام من أجل بيان انسجام النص وإبراز وحدة النص القرآني بوصفه بناءً محكمًا متلائم الأجزاء وبيان الروابط التي تُكَوّن الصورة المثلى للمعنى.

وإنَّ هناك تداخل كبير بين مفهوم السِّياق ومفهوم المناسبة , مرجع ذلك إلى اشتراكهما في كثير من الخصائص التي تميز كل واحد منهما ,ولكن إنْ رجعْنا إلى الامتدادِ المفهومي لكليهما وجدنا الفرق الذي يكمن ما بينهما ، ((أمَّا عن الفرق بين السِّياق والمناسبة... فوظيفة المناسبات الكشف عن وجوه الربط بين الآيات والمقاطع التي تظهر– لأول وهلة– وجهة ارتباطها بما قبلها وما بعدها, ولا يتم الربط إلّا بعد معرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة واللاحقة ,وهذه وظيفة السِّياق ,وذلك من خلال الكشف عن معاينه المتتابعة, فإنَّ الذي يشخّص المعاني ويشكّلها ويحدّد بدايتها ونهايتها سياقها فالسِّياق خادم لعلم المناسبات, ولا يتم استجلاء المناسبات إلاّ بعد معرفة سياق المقاطع القرآنية وحينئذ يتحدد الموضوع ,وعليه يكون ابراز المناسبة في غاية الوضوح))[٢٢] .

فإنَّ المناسبة إذن, تحقّق الربط بين الآية وما تسبقها من آياتٍ، فهى تحقق الانسجام بين هذه الآيات .

المبحث الثاني : ترتيب الآيات في السورة الواحدة عند العلَّامة الطباطبائي :

إنَّ ترتيب الآيات في السور توقيفي بإجماع العلماء، وهذا الترتيب من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ومن هنا قرر العلماء أن الآيات لا تخلو من مناسبة بما قبلها وما بعدها، لكن لا يلزم أن يكون ذلك التناسب ظاهرًا لكلِّ أحدٍ، وليس من اللازم أيضًا التكلف في إظهار المناسبة بين الآيات إلا أنَّ العلَّامة الطباطبائي لا يؤمن بترتيب الآيات ترتيبًا توقيفيًا إلَّا ما دلَّ عليه الدليل أنَّه ترتيب توقيفي ويقول في ذلك: ((إنَّ وقوع بعض

الآيات القرآنية التي نزلت متفرقة موقعها الذي هي فيه الآن لم يخل عن مداخلة من الصحابة بالاجتهاد))[٢٣] .

ويبرهن على ما يتبناه بمناقشته للرواية التي اعتمدها أصحاب الاتجاه التوفيقي ((وأما رواية عثمان بن أبي العاص عن النبي (ﷺ) : أتاني جبريل فأمرني أنْ أضعَ هذه الآية بهذا الموضعِ من **السورة** : (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل:٩٠]** فلا تدلُّ على أزيدِ من فعله (ﷺ) في بعض الآيات في الجملة لا بالجملة، وعلى تقدير التسليم لا دلالة لما بأيدينا من الروايات المتقدمة على مطابقة ترتيب الصحابة ترتيبه (ﷺ)، ومجرد حسن الظن بهم لا يسمح للروايات بدلالة تدلُّ بها على ذلك وإنما يفيد أنَّهم ما كانوا ليعمدوا إلى مخالفة ترتيبه (ﷺ)فيما علموه لا فيما جهلوه ،وفي روايات الجمع الاول المتقدمة أوضح الشواهد على أنهم ما كانوا على علم بمواضع جميع الآيات ولا بنفسها))[٢٤] ، العلَّامة يريد القول: أنَّ ما ذكر ممكن حدوثه في بعض المواضع ، وهذا يعني لا يشمل القرآن كله ، ثم يلتمس العذر للصحابة فهم لا يتعمدوا مخالفة النبي فيما علموه أما ما جهلوه فلا يبنى عليه ، لوجود روايات الجمع الاول التي تؤكد عدم علمهم بمواضع جميع الآيات.

ويضيفُ العلَّامة الطباطبائي قائلًا:((... إنَّ الآياتَ كانت مرتبةً عند النبي (ﷺ) بحسب ترتيب النزول فكانت المكياتُ في السورةِ المكيةِ والمدنياتِ في السورةِ المدنيةِ اللهم إلَّا أنْ يفرضَ سورةٌ نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة، ولا يتحققُ هذا الفرض إلَّا في سورةٍ واحدةٍ, ولازم ذلك أنْ يكونَ ما نشاهده من اختلاف مواضع الآيات مستندا إلى اجتهادٍ من الصحابةِ))[٢٥] .

ويستمرُ العلَّامة الطباطبائي في توضيحِ ذلك بقوله :((إنَّ هناك ما لا يحصى من رواياتِ أسباب النزولِ يدلُّ على كونِ آياتٍ كثيرةٍ في السورِ المدنيةِ نازلة بمكة وبالعكس وعلى كون آياتٍ من القرآن نازلة مثلًا في أواخرِ عهد النبي (ﷺ)وهي واقعة في سور نازلة في أوائل الهجرة وقد نزلت بين الوقتين سور أخرى كثيرة، وذلك كسورةِ البقرةِ التي نزلت في السنة الأولى من الهجرة وفيها آيات الربا وقد وردت الروايات على أنَّها من

آخر ما نزلت على النبي (ﷺ)حتى ورد عن عمر أنَّه قال: مات رسول الله (ﷺ)ولم يُبينْ لنا آيات الربا، وفيها قوله تعالى: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** [البقرة:٢٨١] ، وقد ورد أنَّها آخر ما نزل من القرآن على النبي (ﷺ)))[٢٦] ،

ويستمر العلَّامة في عرضه وجهة نظره التي يتبناها :((فهذه الآيات النازلة مفرقة الموضوع في سور لا تجانسها في المكية والمدنية موضوعة في غير موضعها بحسب ترتيب النزول وليس إلَّا عن اجتهادٍ من الصحابةِ))[٢٧] .

ويثبتُ بروايات الجمهورِ لا توقيف في ترتيب الآيات ولكن هنا إصرارًا ((على أنَّ ترتيبَ الآياتِ توقيفي فآيات المصحف الدائر اليوم وهو المصحف العثماني مرتبة على ما رتبها عليه النبي (ﷺ)بإشارة من جبريل، وأولوا ظاهر الروايات بأنَّ جمعَ الصحابةِ لم يكن جمع ترتيبٍ وإنما كان جمعًا لما كانوا يعلمونه ويحفظونه عن النبي (ﷺ)من السور وآياتها المرتبة، بين دفتين وفي مكان واحد))[٢٨] .

ويؤكّدُ أنَّ كيفية الجمع الأول الذي تدلُّ عليها الروايات تدفع هذه الدعوى دفعًا صريحًا[٢٩] ، ويضيف ((وربما استدل عليه بما ادعاه بعضهم من الإجماع على ذلك فقد نقل السِّيوطيُّ في الإتقان عن الزركشي دعوى الإجماع عليه وعن أبي جعفر بن الزبير في الخلاف فيه بين المسلمين، وهو إجماع منقول لا يعتمد عليه))[٣٠] .

ويستمرُ العلَّامة الطباطبائي في مناقشةِ الآراء التي تتبنى الترتيب التوقيفي بقوله: ((وربما استدل عليه بالتواتر ويوجد ذلك في كلام كثير منهم ادعوا تواتر الترتيب الموجود عن النبي (ﷺ)وهو عجيب وقد نقل في الإتقان، بعد نقله ما رواه البخاري وغيره بعدة طرق عن أنس أنَّه قال: مات النبي (ﷺ)ولم يجمع القرآن غير أربعة. أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، وفي رواية: (أُبَيْ بن كعب) بدل أبي الدرداء ...))[٣١]

ويضيف العلَّامة في مناقشته لمباني الترتيب التوقيفي ((ونظيره ما في الإتقان،... بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: مات (أبو بكر) ولم يجمع القرآن وقتل عمر ولم يجمع القرآن))[٣٢] .

ويستمر بتفنيد الأقوال((وأما قول بعضهم إنَّه يكفي في تحقق التواتر أنْ يحفظَ الكلُّ كلَّ القرآنِ على سبيل التوزيع فمغالطة واضحة؛ لأنَّه إنما يفيد كون مجموع القرآن من حيث المجموع منقولًا بالتواتر وأما كون كل واحدة من الآيات القرآنية محفوظة من حيث محلها وموضعها بالتواتر فلا وهو ظاهر))[٣٣] .

ويستمر في نقل الروايات((وكان رسول الله (ﷺ)يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أنَّ هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا))[٣٤] .

وينقلُ العلَّامة الطباطبائي الاقوالَ بكلِّ أمانةٍ علميةٍ ويناقشُها ويُشركُ القارئ في تتبع هذه الآراء دون توجه مذهبي كما عهدناه ((أمّا قولهم: إنَّ الصحابةَ إنما كتبوا المصحف على الترتيب الذي أخذوه عن النبي (ﷺ)من غير أنْ يخالفوه في شيء فيما لا يدلُّ عليه شيء من الروايات المتقدمة، وإنَّما المسلم من دلالتها أنَّهم إنَّما أثبتوا ما قامت عيه البينة من متن الآيات ولا إشارة في ذلك إلى كيفية ترتيب الآيات النازلة مفرقة وهو ظاهرٌ نعم في رواية ابن عباس المتقدمة عن عثمان ما يشير إلى ذلك غير أنَّ الذي فيه أنَّه كان (ﷺ)يأمر بعض كتاب الوحي بذلك وهو غير إعلامه جميع الصحابة ذلك على أنَّ الرواية معارضة بروايات الجمع الأول وأخبار نزول بسم الله وغيرها))[٣٥] .

ويتبين من كلام العلَّامة الطباطبائي أنَّه يرى أنَّ العبورَ من المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن يتم عن طريق التحليل والتأمل بقوله:((وأما قولهم: إنَّ القرآن مكتوب على هذا الترتيب في اللوح المحفوظ أنزله الله إلى السماء الدنيا ثم أنزله الله مفرقا عند الحاجة ، فإشارة إلى ما روي مستفيضًا من طرق الشيعة وأهل السُنة من نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزوله منها نجومًا إلى النبي (ﷺ)لكن الروايات ليس فيها أدنى دلالة على كون القرآن مكتوبًا في اللوح المحفوظ منظمًا في السماء الدنيا على الترتيب الموجود في المصحف الذي عندنا وهو ظاهر))[٣٦] .

ويستمر العلَّامة الطباطبائي في تحليلاته النصية للروايات ومناقشتها علميًا((وأما قولهم: إنَّه قد حصل اليقين بالنقل المتواتر عن رسول الله (ﷺ)بهذا الترتيب الموجود في

المصاحف فقد عرفت أنَّه دعوى خالية عن الدليل وأنَّ هذا التواتر لا خبر عنه بالنسبة إلى كلِّ آيةٍ آيةٍ))[٣٧] .

ويخرج العلَّامة الطباطبائي بمحصلةٍ نهائيةٍ من أقوالهم ورواياتهم مراعيا المعايير النصية على ما نُقل عند أئمة القوم دون تجريح ،أو تقليل من فكرةٍ معينةٍ ،ولكن بمنهج علمي موضوعي((ثبت أنَّ سعي الصحابةِ كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإنَّ القرآنَ مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظِ على هذا الترتيبِ أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقًا عند الحاجة وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة))[٣٨] .

وبعدها يتبنى العلَّامة الطباطبائي أنَّ ترتيبَ الآيات ليس توقيفيًا ماخلا الآيات النازلة مرة واحدة ((ولعل المراد ضم بعض الآيات النازلة نجوما إلى بعض السور أو إلحاق بعض السور إلى بعضها مما يتماثل صنفًا كالطوال والمئين والمفصلات، فقد ورد لها ذكر في الأحاديث النبوية، وإلَّا فتأليف القرآن وجمعه مصحفًا واحدًا إنَّما كان بعد ما قبض النبي **(صلى الله عليه وآله وسلم)**بلا إشكال، وعلى مثل هذا ينبغي أنْ يحمل ما يأتي))[٣٩] .

وبعد أن عرضنا النصوص التي احتج بها العلَّامة الطباطبائي لنستمع ماذا يقول بعض علماء التفسير عن الترتيب التوقيفي ،يقول السيوطي (ت٩١١هـ): ((الْإِجْمَاعُ وَالنُّصُوصُ الْمُتَرَادِفَةُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ توقيفي لا شبهة في ذلك وأما الْإِجْمَاعُ فَنَقَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُنَاسَبَاتِهِ وَعِبَارَتُهُ: تَرْتِيبُ الْآيَاتِ فِي سُوَرِهَا وَاقِعٌ بِتَوْقِيفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ فِي هَذَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ))[٤٠] ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير :((وَأَمَّا تَرْتِيبُ الْآيِ بَعْضِهَا عَقِبَ بَعْضٍ فَهُوَ بِتَوْقِيفٍ مِنَ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَبَ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مُنَجَّمًا آيَاتٍ فَرُبَّمَا نَزَلَتْ عِدَّةُ آيَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ أَوْ سُورَةٍ كَامِلَةٍ، كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا، وَذَلِكَ التَّرْتِيبُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي وُجُوهِ إِعْجَازِهِ مِنْ بَدَاعَةِ أُسْلُوبِهِ... فَلِهَذَا كَانَ الْأَصْلُ فِي آيِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَين الْآيَة وَلَا حقتها تَنَاسُبٌ فِي الْغَرَضِ أَوْ فِي الِانْتِقَالِ مِنْهُ أَوْ

نَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْمُنْتَظِمِ الْمُتَّصِلِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ وُجُودُ))[٤١] ، من خلال النَّص أعلاه لم يفرق ابن عاشور بين الآيات النازلة منجمة والآيات التي نزلت في سورة كاملة ، بينما نجد العلّامة الطباطبائي فرق بين الآيات التي نزلت منجمة والآيات التي نزلت مرة واحدة وللعلّامةِ الطباطبائي موقفٌ من قضية الإجماع إذ يرى أنَّ الإجماعَ لا يمثلُ على أبعدِ تقديرٍ أكثر من الحجة الظنية ,ومن ثمَّ أنَّ الإجماع لن يكونَ له قيمةٌ ما لم تكنْ ثمةُ مبررات نصية لهذا الإجماعِ ، ومن هنا عدَّ أنَّ الالتباس الديني لفكرة الإجماع جاء عن طريق مدرسة الخلافة وأهل السُنَّة وذلك بواسطة صنع أحاديث برروا فيها قيمة إجماع الأمة من قبيل الحديث المعروف ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))، وهذا الموقف من الإجماع يردفه بنقطة حساسة في غاية الأهمية،فالإجماع قد تحول إلى وسيلة لرد كل دليل قرآني أو عقلي أو من السُنَّة [٤٢] ومن الجدير بالذكر أنَّ العلَّامة الطباطبائي يرى عن طريق البحوث الكلامية بأنَّ حجة المدَّعي تتم عن طريق القرآن أو السنة أو العقل ، بيد أنَّها ترد ويُعرض عنها لكونها مخالفة لإجماع علماء ذلك المذهب ومفكريهم, وهذا الموقف الذي يقفه من الإجماع يكاد أنْ يقفَهُ من رواة الحديث، الذي يراه بعد احترامه لموقعية الحديث الشريف عن المعصومين (عليهم السلام) أنَّ ثمةَ علاقة معينة بين الممارسات القمعية للسلطة وبين تعاظم دور الحديث والمحدثين لدى الصحابة والتابعين، وبعد ذلك القضاء على تيار الاعتزال الذي يراه الاستثناء الوحيد على ما يبدو في عالم الجمود, كل ذلك يُسهم في تعزيز موقعية الحديث وتحوّل الصحابة ومن بعدهم من المحدثين إلى مصادر للعلم والتربية، ولا يرى العلَّامة الطباطبائي مشكلةً في أساس مرجعية الحديث والمحدثين بيد أنَّ لُبَّ المشكلةِ عنده هو في مجموعة عوامل أحاطت بالحديث (الذي أصبح هو والمحدثون به مرجعية) وضعت الفكر الإسلامي عمومًا في مأزق، إذ أنَّ شيوع ظاهرة

الحديث ومرجعية المحدّث صاحبته سلسلة من الأمور المقلقة التي تقف على رأسها ظاهرة افتقاد الصحابة وبشكل عام على حد تعبير العلَّامة الطباطبائي لروح البحث التحقيقي(٤٣) .

وتمثل بعضها في انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة, وكيف توقّف النمو في علوم المسلمين بعد أنَّ أصبحت المعارف حكرًا على أشخاصٍ بعينهم ألبستهم نظرة الجهل ثوبًا فضفاضًا من القداسة الوهمية الزائفة(٤٤) ، وحتى نتأكد أنَّ العلَّامة الطباطبائي انسجم مع نفسه في خطابه المنهجي هذا ، لابد من العودة إلى نتاجه الفكري(تفسير الميزان) لمعرفة هل كان العقل عنده أساسًا للنشاط الفكري الديني أو لم يكن؟ وهل طبق العلَّامة الطباطبائي ما نَظَّر إليه منهجيًا من المرجعية المطلقة للعقل واستبعاد هاجس النص (موافقة الشرع) في عملية البحث والاستدلال؟

انتهج العلَّامة الطباطبائي في تفسير الميزان منهجًا مهمًا في التعامل ،مع النصوص المتصلة بالنص القرآني سواءٌ منها نصوص أسباب النزول أو بعض النصوص التفسيرية، والشيء الذي نَلْحَظَهُ في الميزان أنَّ العلَّامة الطباطائي لم يحضرْ النصَّ في بحثه التفسيري، بل تعامل بروح أكاديمية صرفة مع تفسير النص مخضعًا عمله لقواعد التفسير نفسها، وعندما كان يأتي للبحث الروائي الذي كان يعقده في أواخر كلِّ فصلٍ تفسيري كان يكتفي بمجرد عرض النصوص دون أنْ يوحيَ لنا بأنَّه يركز نظره عليها كثيرًا ما لم تكن القضية من حيث اساسها روائية، انطلاقًا من ذلك لم يكن العلَّامة الطباطبائي ليخشى النصَّ الروائي بل كان يتعامل معه بروح فوقية ـ بالمعنى غير السلبي للكلمة ـ،ولهذا لم يكن ليتحفظ عن الاسراع في استبعاد نص روائي أحيانًا أو تجاهل آخر أحيانًا(٤٥) .

ومن النقاط الأخرى التي ركّزَ عليها العلَّامة الطباطبائي إلحاحه الكبير على ضرورةِ استئناف الفكر الاجتماعي ،وأنْ يحلَّ هذا الأخير محل الفكر الفردي الذي ورثناه من الوضع العام الذي تحكم بتاريخ المسلمين(٤٦) .

المبحث الثالث :المناسبةُ بين آياتِ السِّورةِ الواحدةِ :

إنَّ طريقةَ معرفةُ المناسباتِ والربط بين الآيات تعتمد اجتهاد العلَّامة الطباطبائي ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السِّياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة ، ولا يعني هذا أنَّه يلتمسَ لكلِّ آيةٍ مناسبة، فإنَّ القرآن الكريم نزل مُنَجَّمًا حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك ارتباط آياته وقد لا يدركها ، وهذا ما نجده حاضرًا عنده في بيان قوله تعالى:**(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان:١٢-١٣]** يقول العلَّامة الطباطبائيّ:((... إشارة إلى إيتاء لقمان الحكمة ونبذة من حكمه ومواعظه لابنه ولم يذكر في القرآن إلَّا في هذه السورة ويناسب المورد من حيث مقابلة قصته الممتلئة حكمة وموعظة لما قص من حديث مَنْ كان يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا))[٤٧] . هنا نجد اشارة واضحة للبعد النصي متمثلا بمعيار الانسجام في الجمع بينَ غرَضيْنِ مُختلفيْنِ، من خلال مقابلته بين قصة مَن كان يشتري لهو الحديث التي ذُكِرَتْ في الآية السابقة قال تعالى :(**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [لقمان:٦]** وقصة لقمان الممتلئة حكمة التي تُشير إلى عبادة الله وتحث على الابتعاد عن الشِرْكِ وأنّ الشِركَ ظُلم عظيم ، نجد هناك مَن يشتري بأمواله اللهو ليمنع الناس من الاستماع للقرآن الكريم، وقد أشار العلَّامة الطباطبائيُّ إلى معنى اللهو ((وإنَّ لهو الحديث ما يشغلك عما يهمك، الحديث الذي يلهي عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافية والقصص الداعية إلى الفساد والفجور،....))[٤٨]، يريد العلّامة القول: قد يكون للنص القرآني الذي يحمل معنًى عامًا أو خاصًا شبكة من موضوع عام في القرآن كله، هو يحاكي ما أكده النصيون في وجود علاقة ما بين كل جملة لاحقة وجملة سابقة وتقابلها أخرى اعتماد على التحليل الوظيفي للجملة إلا أن مكانية القطيعة واردة في هذه البنية الخطية وهذا ما اشار إلية العلّامة في إدراج الآية التي تتحدث عن لهو

الحديث وأسباب نزول الآية، منبها إلى أن هذه القطيعة على مستوى الاتساق لا تلغي الوحدة النصية ومن ثم تمَّ الاعتماد عليها لتفسير هذه القطيعة وإثبات وحدة النص استنادا إلى مفهوم البنية الكبرى التي أشار إليها العلّامة بالفصول الدلالية كمصطلح تراثي بلاغي استعمله القرطاجني .

وينظرُ العلَّامة الطباطبائيُّ إلى العلاقات المتكونة من الانسجام الحاصل بعد معرفة سياقها وهو بذلك يتقارب مع رأي النصيين المحدثين، ويقارب ما يقوله محمد خطابي : ((ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النصِّ أو تربط بين متواليات دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك على أنَّها علاقات دلالية))[٤٩] ، أي ماراد قوله العلَّامة أنَّ هناك مناسبة بين من يدعو إلى ترك الشرك وبين من يدعوا الى الشرك بإغفال الناس عن العمل الصالح الذي أعلى قمته الاستماع لقوله تعالى واتباع أوامر والالتزام بنواهيه، ونظر إلى النص على أنه تتباع جمل وتتجاوز حدود التعامل مع الروابط الشكلية بين الجمل إلى روابط غير شكلية تتأسس على النظر إلى الجمل على أنها وقائع أو أحداث تتعالق فيما بينها .

وهذه العلاقات الدلالية المتواجدة عبر مساحة النصِّ تُحقق تماسكًا دلاليًا بين بنياته، كما لها دور الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل ؛لأنَّ بنيته الدلالية التي تربط النص قائمة عبر هذه العلاقات المعنوية, والمناسبة توصل إلى العلاقة وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر وتحققت هذه المرجعية التي أشار إليها العلَّامة الطباطبائيُّ بالمقابلة التي تحقق الانسجام بينهما ، وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والانسجام . المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ←الانسجام[٥٠] .

ومن ذلك قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)** [البقرة:٢٤٣] ، يقول العلَّامة الطباطبائيُّ :((الرؤية هاهُنا بمعنى العلم، عبر بذلك لدعوى ظهوره بحيث يعد فيه العلم رؤية فهو كقوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)**

[إبراهيم:١٩]، **قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) [نوح:١٥]**[٥١] ، هكذا يرى العلّامة أنَّ شرح كلمة قرآنية بأخرى أو آية بآية من القرآن الكريم لَيُعَد مظهرًا من مظاهر انسجام النص القرآني أما شرحها بأخرى من خارج القرآن فلن يؤدي المعنى المرجو ، ويظلُّ شرحًا قريبًا؛ لأنّ العبارة الشارحة لاتزن قيمة العبارة المُنزلة وحيًا .

ويعدُّ الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل و الفقرات و النص بكامله وهذا ما أكد عليه : ((دي بوجراند) الذي يرى الانسجام مجموع الإجراءات التي تؤدي إلى ترابط الأفكار ترابطا منطقيا مبنيا على ترتيب الأحداث و المناسبات و كذلك على الخبرة و ما يتوقعه الناس[٥٢] ،ظهر لنا أن ضرورة ترابط الألفاظ والأفكار ترابطا منسجما مع بعضه البعض من غير أن ينسى القدرات والخبرات التي يمتلكها القارئ وهذا ما وظفه العلّامة الطباطبائي في تحليله النص من خلال تفسير القرآن بالقرآن وربط الافكار التي ذكرت في آيات جاءت في سور مختلفة ، ويقارب ما أكد عليه (فانديك)،بقوله بأن التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى[٥٣]، إذ ربط (فان ديك) بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخص البنية السطحية للنصوص، فالأول يدرس الانسجام والثاني يهتم به الاتساق، فالانسجام عند العلّامة الطباطبائي، عبارة عن مجموعة من العلاقات التداويلية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة، يظهر أن الانسجام موجود داخل النص ،وهو يعتمد على الترابط المنطقي للأفكار والجمل.

ويقف العلَّامة الطباطبائيُّ عند قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)** [البقرة:٢٤٣] ((الأمر تكويني ولا ينافي كون موتهم واقعًا عن مجرى طبيعي كما ورد في الروايات: أنَّ ذلك كان بالطاعون، وإنَّما عبر بالأمر، دون أنْ يقال: فأماتهم الله ثم أحياهم ليكون أدل على نفوذ القدرة وغلبة الأمر، فإنَّ التعبير بالإنشاء في التكوينيات أقوى وأكثر تأكيدًا من التعبير بالإخبار كما أنَّ التعبيرَ بصورة الإخبار الدال على الوقوع في التشريعيات أقوى وأكثر تأكيدًا من

الإنشاء، ولا يخلو قوله تعالى:(**ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**) عن الدلالة على أنَّ الله أحياهم ليعيشوا فعاشوا بعد حياتهم، إذ لو كان إحياؤهم لعبرة يعتبر بها غيرهم أو لإتمام حجة أو لبيان حقيقة لذكر ذلك على ما هو دأب القرآن في بلاغته كما في قصة أصحاب الكهف، على أنَّ قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**) يشعر بذلك أيضا))[٥٤] ، يحددُ العلّامة الترابط الموضوعي للنص (الانسجام النصي) الذي يجعل من النص وحدة دلالية وكذلك اشتمال النص على سيرورة واستمرارية وتطور واتجاه نحو غاية محددة تضمن له التدرج والانتقال وتنفي عنه الانتقال غير المُسوغ ، ووجود مثل هذه العلاقات المعنوية داخل النص .

يُشير العلَّامة الطباطبائيُّ إلى بلاغةِ الخطاب القرآني وإنَّ تضافر أكثر من عامل يؤدي إلى الانسجام وليس عاملًا واحدًا، فوحدة الفكرة والظروف وطبيعة المنتج والوسط الناقل للنص، والمتلقي وطبيعته، كل ذلك بما تنطوي عليه التفصيلات ، يؤدي إلى انسجام النص فالكلمة من تلك الكلمات محملة بقيود تخصصها فترجح خصائص وتستغني عن أخرى ، حتى تنسجم أجزاء الكلام ، وكذلك أن الكلمة في ذاتها تكون متعددة السمات والدلالات، ((فالتماسك النصي ليس مجرد خاصية تجريدية للأقوال، ينبغي أنْ نعالجها في علم الدلالة أو في نظرية الخطاب أوفي نحو النص، ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية))[٥٥] .

وبعد أنَّ فسَّرَ العلَّامة الطباطبائيُّ قوله تعالى: (**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) [البقرة:٢٤٣]) وضَّح لنا الانسجام بقوله: ((الإظهار في موضع الإضمار أعني تكرار لفظ الناس ثانيًا لما فيه من الدلالة على انخفاضِ سطح أفكارهم، على أنَّ هؤلاء الذين تفضل الله عليهم بالإحياء طائفة خاصة، وليس المراد كون الأكثر منهم بعينهم غير شاكرين بل الأكثر من جميع الناس، وهذه الآية لا تخلو عن مناسبة ما مع ما بعدها من الآيات المتعرضة لفرض القتال، لِما في الجهاد من إحياء الملة بعد موتها))[٥٦] ، إنَّ انسجامَ النصِّ وترابطَ أجزائهِ يعتمدُ أولًا الناحية الدلالية، ثم اللغوية بأدواتِها المختلفةِ، إذ تعمل علوم البلاغة على ربط ما يبدو غير منسجم منطقيًا، مرورًا بالجانب الصوتي

والصرفي والنحوي ، فالتركيب النحوي نظام من معاني العلاقات التي لا تجد تعبيرًا شكليًا عنها إلَّا فيما يقدمه الصرف من خلال المباني والقرائن اللفظية [٥٧] .

والأصلُ في الأسماءِ أنْ تكونَ ظاهرةً ، والأصل في المسند إليه كذلك ،فإذا ذُكر ثانية ذكر مضمرًا ؛ لأنَّه أوجزُ ،والاستغناء عن إظهاره بالظاهر السابق ،لكن المُتكلِّم قد يؤثر الإظهار في موضع الإضمار ، لخروج المتكلم عن خلاف الأصل[٥٨]،وقد ذكر السَّكَّاكِي(ت٦٢٦هـ) فائدة هذا الفن بقوله ((يوضع المظهر موضع المضمر إذا أريد تمكين نفسه زيادة تمكين)) [٥٩]،وذكر ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)أنَّ ((هذا إنما يعمدُ إليه لفائدة، وهي تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم المضمر أولاً))[٦٠] .

ويُشير العلَّامة الطباطبائيُّ إلى علاقةٍ أخرى هي علاقةٌ منطقيةٌ بين إحيائهم بعد الموت بقدرته وإحياء الملة, وتقتضي المناسبة وجود علاقة بين المتناسبين في النص القرآني، وقد تكون العلاقة ظاهرة أو غير ظاهرة، والعلاقة تقتضي مرجعية من أحدِ المتناسبين إلى الآخر، ويؤدي تفاعل العلاقات إلى تحقيق تماسك النص القرآني[٦١] .

ويرى العلَّامة الطباطبائيُّ أَنَّ هناك مناسبة قادت إلى الانسجام بين الآيات لا يحتاج إلى تكلف كما أشار أحد المُفسَّرين وإنَّ الآية الكريمة مثل ضربه الله لحال الأمة في تأخرها وموتها باستخزاء الأجانب إياها ببسط السلطة والسيطرة عليها، ثم حياتها بنهضتها ودفاعها عن حقوقها الحيوية واستقلالها في حكومتها على نفسه[٦٢] .

ويظهر للباحث أنَّ العلَّامة الطباطبائيَّ كثيرًا ما يردُّ على صاحب المنار، وإنَّ عبارة (فافهم ذلك)في تفسير الميزان أين ما وجدت المقصود بها صاحب المنار ، وفي هذا الاتجاه يقول صاحب تفسير المنار:((وبالجملة فهؤلاء يموتون بالخزي وتمكن الأعداء منهم ويبقون أمواتا، ثم أحياهم الله بإلقاء روح النهضة والدفاع عن الحق فيهم، فقاموا بحقوق أنفسهم واستقلوا في أمرهم، وهؤلاء الذين أحياهم الله وإنْ كانوا بحسب الأشخاص غير الذين أماتهم الله إلّا أنَّ الجميع أمة واحدة ماتت في حين وحييت في حين بعد حين، وقد عد الله تعالى القوم واحدًا مع اختلاف الأشخاص كقوله تعالى في

بني إسرائيل: **(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)** ، [الأعراف:١٤١] وقوله تعالى: **(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [البقرة:٥٦]** ، ولولا ما ذكرناه من كون الآية مسوقًا للتمثيل لم يستقم ارتباط الآية بما يتلوها من آيات القتال وهو ظاهر))[٦٣] .

ويرد العلَّامة الطباطبائيُّ على هذا الرأي بمنهج تفسير القرآن بالقرآن قائلًا: ((وهذا الكلام كما ترى مبني على إنكار المعجزات وخوارق العادات أو بعضها كإحياء الموتى وقد مرَّ إثباتها، على أنَّ ظهورَ القرآنِ الكريم في إثبات خرق العادة بإحياء الموتى ونحو ذلك مما لا يمكن إنكاره ، وفيه أنَّ جميع الآيات الدالة على إحياء الموتى كما في قصص إبراهيم وموسى وعيسى وعُزير، بحيث لا تدفع دلالتها، يكفي في رد ما ذكره، على أنَّ الحياة الدنيا لا تصير بتخلل الموت حياتين كما يستفاد أحسن الاستفادة من قصة عُزير، حيث لم يتنبه لموته الممتد، والمراد بما أورده من الآيات الدالة على نوع الحياة))[٦٤] .

ويقول العلَّامة الطباطبائي:((وللآية نظائر في القرآن كقوله تعالى: **(وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)** [البروج:٧] ، وقوله تعالى: **(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ژ** [الأعراف:١٨١]))[٦٥] وبعد عرضه نظائر للآيات التي يستحضر انسجامها أمَّا عن طريق اتساقها أو عن طريق المناسبة بين مضامينها بقوله:((إنَّ الآية لو لم تحمل على التمثيل لم ترتبط بما بعدها من الآيات بحسب المعنى، وأنت تعلم أنَّ نزول القرآن نجوما يغني عن كل تكلف بارد في ربط الآيات بعضها ببعض إلَّا ما كان منها ظاهر الارتباط، بَيّنُ الاتصال على ما هو شأن الكلام البليغ ،فالحق أنَّ الآية كما هو ظاهرها مسوقة لبيان القصة ، وليت شعري أي بلاغة في أن يلقي الله سبحانه للناس كلامًا لا يرى أكثر الناظرين فيه إلَّا أنَّه قصة من قصص الماضين، وهو في الحقيقة تمثيل مبني على التخييل من غير حقيقة))[٦٦] .

ويرى العلَّامة الطباطبائيُّ أنَّ ((القرآن الكريم كلام كسائر ما يتكلّم به الناس، ويدلُّ دلالة واضحة على معانيه المقصودة ، وليس فيه خفاء على المستمعين، ولم نجد

دليلًا على أنَّه يقصد من كلماته غير المعاني التي ندركها من ألفاظه وجمله ،أمّا وضوحه في دلالته؛ فلأنَّ أي انسان عارف باللغة العربية بإمكانه أنْ يدرك الآيات الكريمة كما يدرك معنى كلّ قول عربي))[٦٧] .

وبذلك تتضح لنا رؤية العلَّامة الطباطبائيُّ النصيّة مبرّزًا الانسجام النصي ،ويقترب بهذه الرؤية من الدراسات النصية الحديثة،وإنَّ دراسةَ الانسجامِ النصي القائم على أساسِ العلاقةِ بين الوحداتِ النصيةِ بقطعِ النظر عن تتابعها المكاني تصبح أكثر ضرورة في الحالات التي قد يبدو فيها النص مفككًا أو متعارضًا في الظاهر ، لكن سرعان ما ينكشف لمحلل النص أو قارئه أنَّ وراء ذلك بينة محكمة منسجمة تتضمن تماسك النص وانسجامه[٦٨] ،وهذه إشارة واضحة إلى المناسبةِ ولكن بشرطِ عدم الالتزام بالترتيب التوقيفي الذي التزم به المُفسِّرون ؛لأنَّه يؤدي إلى التأويل والعلَّامة الطباطبائيُّ له رأي مختلف في معنى التأويل فهو عنده تصيير الآيات إلى مرجع تؤول إليه[٦٩] .

يرى العلَّامة الطباطبائيُّ أنَّ التأويلَ لا يعني صرف الظاهر عن معناه إلى معنىً آخر، كما هو شائع لدى اتجاه كبير من اتجاهات البحث التفسيري لا سيما بين المتأخرين، وإنَّما التأويل هو المرجع والمصير، ومن ثم فإن تأويل الآيات يعني تصييرها إلى مرجع تؤول إليه، ويؤكد العلَّامة الطباطبائيُّ على أنَّ القرآن الكريم هو الذي رسم هذا المعنى وحدّده للتأويل، بما يترتب عليه من أنَّ التأويل سيغدو حقيقة خارجية لها واقع، وليس هو من قبيل المفاهيم والمعاني اللفظية، بل هو أمور عينية وحقائق متعالية،((إنَّ الحقَّ في تفسيرِ التأويلِ أنَّه الحقيقةُ الواقعيةُ التي تُستندُ إليها البياناتُ القرآنيةُ من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنَّه موجودٌ لجميعِ الآياتِ القرآنيةِ محكمها ومتشابها، وأنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينيّة المتعالية من أنْ يُحيطَ بها شبكات الألفاظ، وإنّما قيدها الله تعالى بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تُضربُ ليقربَ بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع...، ولم يستعمل القرآن لفظ التأويل... إلّا في المعنى الذي ذكرناه))[٧٠] .

ويقول رأيه في التأويل: ((إنَّ ظواهر الآيات تكون كأمثال بالنسبة إلى البواطن، ويعني بالنسبة إلى المعارف الإلهية التي هي أعلى مستوى من أفهام العامة، فتكون تلك الظواهر كأمثال تقرّب المعارف المذكورة إلى الأفهام، يقول جلّ جلاله : (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴿ الأسراء:٨٩])) [٧١] ،ومن أهم القضايا التي ذكرها العلَّامة الطباطبائيُّ في الميزان قضية انسجام النصِّ القرآنيِّ دون الالتفات إلى الترتيب التوقيفي للآيات الذي التزم به علماء المسلمين ونظر إلى الآيات المتباعدة نظرة موحدة متآلفة ، وَإنَّ العلَّامة الطباطبائيَّ يؤيدُ في مناسبات عدَّةٍ وجودَ المناسبةِ بين الآيات، وفي أحيان أُخر لا يرى مناسبةً بين الآيةِ والآياتِ التي قبلها والتي بعدها

وهذا التحليل النصي الذي يعرضه العلَّامة الطباطبائيُّ ينمُّ عن قراءة نصية واعية تتماثل مع ما يذكره علماءُ النص المحدثون في معيار الانسجام يقول (فان ديك): ((إنَّ النصَّ لكي يشكلَ وحدة لا بد أنْ يكونَ منسجمًا)) [٧٢] ، فهو يرى أنْ التماسكَ يتجسدُ في خاصية الانسجام التي تولد النظرة الكلية للنص من غير الفصل بين أجزائه مما يجعله يظهر كنسيج واحد وبنية كلية ،وهذه الرؤية النصية عند العلَّامة الطباطبائيِّ نجدها عند مناقشته الآراء التي قيلت في تفسير الآية مُستعينًا بالسِّياق في استيضاح مكنون الآيات تماثل ما يقوله النصّيون:((إنَّ التحليل النصي يعتمد على السِّياق في الكشف عن اتساق النص وانسجامه وتماسكه, وتزداد أهمية السِّياق في التحليل النصي عند خفاء الروابط أو غيابِها، فقد يكون النص خاليًا من الأدوات الشكلية المعروفة لتحقيق التماسك النصي حتى يكاد المتلقي يصل إلى درجة اليأس من فهم هذا النص، فيستعين بالسِّياق المحيط بالنص لصنع علاقات ضمنية غير محسوسة بين أجزاء النص ومن ثَم يتماسك النص أمامه كما لو كانت أدواته الشكلية موجودة)) [٧٣] .

والنصُّ ينتج معناه بحركة جدلية أو تفاعل مستمر بين أجزائه ومن ثم ينظر إلى الانسجام الداخلي بين الدلالات فينزاح الستار عن ذلك التساوق بين المضامين في إطار بنية كلية ذات مضمون أشمل[٧٤] ، وهذا ما استثمره العلَّامة الطباطبائيّ في تحليلاته المستفيضة في مناقشة الآراء التي قيلت في مناسبة الآية مع الآيات التي قبلها والتي بعدها .

الخاتمة

١- يوكّد العلّامة الطباطبائيُّ إنَّ ترتيب النزول لم يكن ذا أهمية في تفسير القرآن بالقرآن الذي يهتم به أهل البيت (عليهم السلام) إنَّما المهم فيه هو ملاحظة مجموع الآيات ومقارنة بعضها ببعض، لأنَّ القرآن الذي هو الكتاب الدائم لكل الأزمان والعصور والأقوام والشعوب لا يمكن حصر مقاصده في خصوصية زمنية أو مكانية أو حوادث النزول.

٢- يوكّد العلّامة الطباطبائيُّ أنَّ ترتيب الآيات في السورة الواحدة غير توقيفي بلا أشكال.

٣- إنَّ تحديد انسجام النص القرآني لا يتم بآليات وأدوات نهائية ثابتة، فهي ليست قوانين مطلقة يتبعها كل باحث أثناء دراساته، ودليل ذلك تنوعها عند المُفسِّرين والاختلاف في تصنيفها.

٤- ركّزَ العلَّامة الطباطبائي على ضرورةِ استئناف الفكر الاجتماعي ،وأنْ يحلَّ هذا الأخير محل الفكر الفردي الذي ورثناه من الوضع العام الذي تحكم بتاريخ المسلمين.

٥- أظهر البحث أنَّ من مظاهر انسجام النص القرآني وتماسك بنائه وإحكامه تناسبُ أجزائه ، ويدخل في هذا الباب كل المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية التي تُعنى بالعلاقات الكبرى بين أجزاء النص القرآني.

الاحالات

(١) يُنظرُ: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً: ١١.

(٢) يُنظر : لسان العرب : ابن منظور : ١٤/٢٧١-٢٧٢.

(٣) يُنظر الخطاب وخصائص اللغة العبية ،دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: أحمد المتوكل : ٢١-٢٢.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه:٢٣

(٥) يُنظر: علم اللغة النصي (بين النظرية والتطبيق): ١ /٢٩.

(٦) لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء :٥٥-٥٦.

(٧) الميزان : العلَّامة محمد حسين الطباطبائي :٣/٨٨ .

(٨) الميزان:٣/٢٥ .

(٩) الإصلاح الديني العلَّامة فضل الله: لتأصيل النصّ الديني بالانفتاح عليه والتعمّق في مفرداته وامتداداته: الموقع الالكتروني:
http://arabic.bayynat.org/DialoguePage.aspx?id=12845

(١٠) الميزان:٣/٤٥

(١١) الاتقان في علوم القرآن:١/١٠٨.

(١٢) معترك الاقران في إعجاز القرآن:٢/٦٢.

(١٣) أبجد العلوم، المجلد الثاني، باب علم معرفة مناسبات الآيات والسور : ٢/٥١٠.

(١٤) يُنظر: علم المناسبات في السور والآيات، د حمد بن عمر بازمول :٦٢.

(١٥) يُنظر: مقاييس اللغة: ٥/٤٢٣، (نَسَبَ).

(١٦) يُنظر: القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : ١٢٧،(نَسَبَ).

(١٧) المعجم الوسيط,: ٢ /٩١٦ ،(نَسَبَ).

(١٨) يُنظر: المعجم العربي الاساسي : ١١٨٨ .

(١٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي:١/٥.

(٢٠) أبجد العلوم:١/٤٣-٤٤.

(٢١) مباحث في التفسير الموضوعي،د. مصطفى مسلم محمد:٥٨.

(٢٢) نظريَّةُ السِّياق القرآني، د. مثنى عبد الفتاح محمود،:١٩.

(٢٣) الميزان:١٢/١٢٥.

(٢٤) المصدر نفسه : ١٢٥/١٢.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٢٦/١٢.

(٢٦) المصدر نفسه: ١٢٦/١٢.

(٢٧) المصدر نفسه:١٢٦/١٢.

(٢٨) المصدر نفسه:١٢٧/١٢.

(٢٩) المصدر نفسه:١٢ /١١٦ -١١٩.

(٣٠) المصدر نفسه:١٢٧/١٢.

(٣١) المصدر نفسه:١٢٧/١٢.

(٣٢) المصدر نفسه:١٢٧/١٢

(٣٣) المصدر نفسه:١٢٨/١٢

(٣٤) المصدر نفسه:١٢٨/١٢

(٣٥) المصدر نفسه:١٢٩/١٢

(٣٦) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي:١/ ١٩٩.ويُنظر الميزان:١٢٩/١٢

(٣٧) المصدر نفسه:١٢/-١٣٠١٢٩.

(٣٨)المصدر نفسه:١٢٨/١٢. ويُنظر: شجرة النور المالكية، في طبقات المالكية :١١٣/١.

(٣٩) المصدر نفسه:١٢٨/١٢. ويُنظر: شجرة النور المالكية، في طبقات المالكية،:١١٣/١.

(٤٠) الإتقان في علوم القرآن ٢١١/١

(٤١) التحرير والتنوير :٧٩/١

(٤٢) يُنطرُ: علم الكلام عند العلَّامة محمد حسين الطباطبائي، قراءة في جدل العقل والنص :٦٣

(٤٣) يُنظرُ: علم الكلام عند العلَّامة الطباطبائي قراءة في جدل العقل والنص :٩.

(٤٤) يُنظر: العلَّامة الطباطبائي ملامح من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي العلَّامة كمال الحيدري:١١٧

(٤٥) يُنظر علم الكلام عند العلَّامة الطباطبائي قراءة في جدل العقل والنص :٩-١٠.

(٤٦) يُنظر المصدر نفسه :٧.

(٤٧) الميزان: ٢١٩/١٦.

(٤٨) المصدر نفسه :٢١٤/١٦

(٤٩) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢٩.

(٥٠) يُنظرُ: المصدر السابق:٢٠٢.

(٥١) الميزان :٢/٢٨٥

(٥٢) الاتساق و الانسجام في رواية سمرقند :٤٧.

(٥٣) علم لغة النص:٢٢٠

(٥٤) الميزان :٢/٢٨٥

(٥٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٣٤٠.

(٥٦) الميزان:٢/٢٨٥.

(٥٧) يُنظرُ :اللغة العربية معناها ومبناها:١٣٥.

(٥٨) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، :٢ / ٤٨٤ – ٤٨٥

(٥٩) مفتاح العلوم: السكاكي :١/ ١٩٨.

(٦٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢ / ٢٤.

(٦١) يُنظرُ: ظاهرة المناسبة واتساق النص القرآني، :١١٦

(٦٢) الميزان:٢/٢٨٥.

(٦٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا :٢/٤٥٧.

(٦٤) الميزان :٢/٢٨٥.

(٦٥) المصدر نفسه:٢/٢٨٥

(٦٦) المصدر نفسه :٢/٢٨٥.

(٦٧) القرآن في الإسلام:٢٧

(٦٨) يُنظرُ: البحث الدلالي في تفسير (من وحي القرآن) :١٩٣.

(٦٩) يُنظر: الميزان :٣/٥١.

(٧٠) المصدر نفسه:٣/٥٧

(٧١) القرآن في الإسلام:٢٨

(٧٢) النص بناه ووظائفه (نظرية الأدب) عبد القادر بو زيدة :١١

(٧٣) التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانية النصية الحديثة :٥.

(٧٤) يُنظرُ: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) :٧٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبجد العلوم، المجلد الثاني، باب علم معرفة مناسبات الآيات والسور، صديق بن حسن القنوجي (ت ١٨٨٩)أعده للطبع ووضع له الفهارس: عبد الجبار زكار ، منشرات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٧٨.

٢- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط١: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣- الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ(ت٩١١هـ) الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت , لبنان ، ١٩٩٧م.

٤- البحث الدلالي في تفسير (من وحي القرآن)للسيد محمد حسين فضل الله :د .جابر محيسن الركابي, الطبعة الأولى، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م .

٥- بلاغة الخطاب وعلم النص :د. صلاح فضل , الطبعة الاولى، الشركة المصرية العالمية للنشر, لونجمان , ١٩٩٦م .

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م.

٧- تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا(ت١٩٣٥هـ)، تعليق وتصحيح :محمد مصطفى، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي ،بيروت,لبنان،٢٠٠٢م.

٨- تناسق الدرر في تناسب السور، المسمى (أسرار ترتيب القرآن): جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)،الطبعة الأولى ، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النصر ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

٩- الخطاب وخصائص اللغة العربية ،دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: أحمد المتوكل ، منشورات الاختلاف الجزائر ، دار الأمان الرباط ،ط١، ٢٠١٠م.

١٠- شجرة النور المالكية، في طبقات المالكية، الشيخ محمد بن محمد مخلوف(ت٧٥٧هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الطبعة الرابعة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٩.

١١- العلَّامة الطباطبائي ملامح من سيرته الذاتية ومنهجه العلمي ،كمال الحيدري، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء ،٢٠١٣م.

١٢- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية): د٠صبحي إبراهيم الفقي , الطبعة الأولى ، دار قباء للطباعة والنشر, القاهرة , ٢٠٠٠م.

١٣- علم المناسبات في السور والآيات : د. محمد بن عمر بن سالم بازمول ،الطبعة الأولى المكتبة المكية , ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.

١٤- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: د .سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى ،مؤسسة المختار، القاهرة ،١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

١٥- علم لغة النص النظرية والتطبيق :د. عزة شبل محمد، الطبعة الاولى, مطبعة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٦- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٧- القرآن في الاسلام : العلاّمة محمد حسين الطباطبائي(ت١٩٨١هـ) ، المترجم أحمد الحسني ،الطبعة الأولى, مؤسسة المحبّين للطباعة والنشر,١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٨- لسان العرب للأمام العلّامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(ت٧١١هـ)، الطبعة الثالثة طبعة جديدة محققة ، دار صادر، بيروت، لبنان،٢٠٠٥م.

١٩- لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والاجراء: د. نعمان بُوقرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٢م.

٢٠- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) :د محمد خطابي، الطبعة الثانية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب،٢٠٠٦م .

٢١- اللغة العربية معناها ومبناها :د . تمام حسان, الطبعة الخامسة ،عالم الكتب ,القاهرة, ٢٠٠٦م.

٢٢- مباحث في التفسير الموضوعي: د .مصطفى مسلم, الطبعة الرابعة ، دار القلم ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٢٣- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: د. محمد الأخضر الصبيحي،الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر, الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤- معترك الاقران في إعجاز القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق :أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٥- المعجم العربي الاساسي: تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب ، إبراهيم السامرائي ،تونس، لاروس،١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م.

٢٦- المعجم الوسيط قام بإخراجه ،إبراهيم مصطفى ،أحمد حسن الزّيات ،حامد عبد القادر ،محمد علي النجار، الطبعة الخامسة، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر،٢٠٠٧م.

٢٧- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٨- مفتاح العلوم : أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ) , ضبطهُ وعلق عليه : نعيم زرزور ,الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان , ١٩٨٣م .

٢٩- الميزان في تفسير القرآن: العلاّمة الطباطبائيّ ، محمد حسين (ت١٩٨١م), الطبعة الأولى ، صححه واشرف على طباعته الشيخ حسين الأعْلَمي ،مؤسسة الأعْلَمِي للمطبوعات ،بيروت-لبنان ,١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٣٠- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً: الأزهر زنّاد، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٣م.

٣١- نظرية السِّياق القرآني: عبد الفتاح محمود المثنى ,الطبعة الأولى، دار وائل للنشر ، عمان، الأردن ، ٢٠٠٧م .

٢-البحوث المنشورة في المجلات والدوريات:

١- النص بناه ووظائفه (نظرية الأدب) ،عبد القادر بوزيدة مجلة اللغة والأدب، ع١١، ١٩٩٧، مجلة اللغة والأدب , كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.

٢- ظاهرة المناسبة واتساق النص القرآني ،د. نوح الأول جنيد ,مجلة حوليات التراث،العدد١١- ٢٠١١.

٣- التماسك النصي بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات اللسانية النصية الحديثة ، د.بخولة بن الدين ،عود الند مجلة شهرية ثقافية العدد ٨٠ / ٢٠١٣.

٤- علم الكلام عند العلَّامة محمد حسين الطباطبائي، قراءة في جدل العقل والنص: حيدر حب الله ، مجلّة الكلمة، العدد ٣٦، ٢٠٠٢م.

٣- الاطاريح والرسائل الجامعية

١- الاتساق و الانسجام في رواية سمرقند، أمين معلوف بترجمتها العربية دراسة تحليلية و نقدية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

٤- المواقع الالكترونية

١- الإصلاح الديني العلَّامة فضل الله: لتأصيل النصّ الديني بالانفتاح عليه والتعمّق في مفرداته وامتداداته: الموقع الالكتروني: http://arabic.bayynat.org/DialoguePage.aspx?id=12845